من حكايات الشعوب

حكاية من أرمينيا

الفلاح الماكر



من حكايات الشعوب
حكاية من أرمينيا

يحكيها نقولا طويل عن «أ ... تومانيان»
ترسمها .... ليلى الشوا



الفلاح الماكر



دار الفتى العربي

كانَ في قديم الزمان شقيقان فقيران. بعدَ تفكيرٍ طويل في أمر إعالَةِ العائلة قرّرا أن يبقى الأخُ الأصغرُ في البيت، وأنْ يذهبَ الأخُ الأكبرُ ويعملَ أجيراً عند أحد الأغنياءِ، ويُرسلَ جزءاً مما يكسِبُهُ الى البيت.

وذهب الأخ الأكبر، وأخذ يعملُ أجيراً عند رجل غني، وتعهَّدَ أن يعملَ حتى فصلِ الربيع. إلّا أنَّ الغنيَّ هذا وضع شرطاً غريباً لم يسمعْ بمثله أحدٌ من قبل. قال:

«إذا ما غَضِبْتَ انتَ، قبل أنْ يصيحَ طائرُ «الكوكو» دفعتَ لي ألفَ روبل. وإذا غضبتُ أنا دفعتُ لك هذا المبلغَ.»

فسأله الفقير: «وإذا كنتُ لا أملِكُ ألف روبل، فكيفَ أدفعُ لك هذا المبلغ؟» أجاب الغني: «المسألةُ بسيطة، تشتغلُ عندي دون أجر عشرَ سنوات.»

كانَ هذا الشرطُ المُجْحِفُ بالنسبة إلى الفتى

رهيباً . إلا أنّه قالَ في نفسِه : « ليكنْ ما سيكون ، لن أغضَب وكفى . وإذا غَضِبَ هو فالويلُ له . »
وبعد توقف قصير وافقَ قائلاً : « حسناً . اتفقْنا . »
وهكذا تمَّ الاتفاقُ بين السيد والأجير.
وفي صباح اليوم التالي جاء السيدُ قبل طلوع الفجر يوقظُ الأجير . ويطلبُ إليه أن يذهبَ إلى الحقل :
« اذهبْ واحصدْ ، وعندما تظلمُ الدنيا تعود . »
وذهب الأجير إلى الحقل . وحصد طول النهار.
وفي المساءِ عاد إلى البيت منهوكَ القوى . فسأله السيد : لماذا عدت ؟ »
– « غابتِ الشمس . »
– « لا . غيرُ ممكنٍ . لقد أمرتُك أن تحصد ما دام هناكَ نور . صحيحٌ إنَّ الشمسَ قد غابتْ ، لكنَّ القمرَ طلع . »
ثم سأله السيد : « أغضبت ؟ »
فأجابَ الأجير مذعوراً : « كلا لم أغضبْ .. ولكن .. ولكنّي متعبٌ جداً . »

ثم ذهب إلى الحقل يحصد ... وظلَّ يحصد إلى أنْ غابَ القمر.

ثم سقط على الأرض من فرط الإعياء وأخذ يَشْتمُ ربَّ العمل ، وهو في يأسٍ قاتل :

« اللعنةُ عليكَ وعلى حصادِك ، وعلى خبزِكَ ، وعلى الأَجْرِ الذي ستدفعه . »

وإذا بالسيد يقول ، وكأنَّ الأرضَ قد انشقتْ فخرج منها : « أراك قد غضبتَ . إنَّ الاتفاقَ الذي كان قد تمَّ بيننا أصبح سارياً . والآن يا صديقي ، ليس في وسعِك أن تزعمَ أني قد خالفتُ القانون . »

طلبَ السيدُ من أجيره إمّا أنْ يدفَع له الألفَ روبل ، وإمّا أنْ يعملَ عنده عشرَ سنوات دون أجر.

ووجد الاجيرُ نفسَه في مأزق : لا هو يملكُ الالف روبلٍ لكي يتخلّصَ من ربِّ العمل ، ولا هو يجدُ العملَ عند هذا الانسان عشرَ سنوات أمراً معقولاً .

وفكَّر ثم فكَّر.. وأخيراً وقَّعَ على وثيقةٍ تَعهَّدَ بموجبها أن يدفَع للسيد ألفَ روبل بعدَ زمن .



وعادَ إلى البيت خاليَ الوفاض . وما كاد يصل حتى بادره أخوه الأصغرْ قائلاً : «كيف الحال ؟»

وروى الأخُ الأكبرُ كلَّ ما حدث له . دون أنْ يزيدَ حرفاً واحداً . وما كاد ينتهي حتى قال الأخ الأصغر : «لا بأسَ . لا تقلقْ . الآن جاء دَوْري لأذهبَ . فابقَ أنت في البيت .»

وذهب الأخُ الأصغرُ إلى ذلك الغنيِّ نفسه ليعملَ عنده أجيراً .

ووضع السيد أمامَ الأخِ الاصغر الشرطَ عينه . إلَّا أنَّ هذا رفضَ قائلاً : «لا . إذا غضبتَ أنت دفعتَ لي ألفيْ روبل . وإذا غضبتُ أنا دفعت لك ألفَ روبل . أو اضطرُّ إلى العمل عندك عشرَ سنوات دونَ أجر .»

ووافق الغنيُّ . وتمَّ الاتفاق .

وطلعَ الصباحُ . والأجيرُ ما يزال نائماً لا ينهض ولا يبدي حراكا . فقال له السيد : «هه اسمعْ أيُّها الفتى . لقد أصبح الوقتُ ظهراً فانهضْ إلى

العمل . »

فرفع الأجيرُ رأسَه وسأله : « هل غضبت ؟ »

فأجابَ ربُّ العملِ مذعوراً : « لا . لا لم أغضبْ . أردتُ فقط أنْ أقولَ إنه قد حانَ وقتُ العمل في الحقل . »

– « آه ! هذه مسألةٌ اخرى . ولئن كانَ الامرُ كذلك . فلا داعي للعجلة . سأذهبُ . »

أخيراً . نهض الأجير وشرع يلبس حذاءَه ببطءٍ شديد أثار ربَّ العمل .

– « هه انتَ . أيُّها الشابْ . أسرعْ قليلاً ! »

– « ماذا ! هل غضبت ؟ »

– « لا أبداً . أردت أن أقول إننا قد نتأخر . »

– « هذه مسألةٌ أخرى .. وهناك الاتفاقُ كما تعلم . »

انتهى الأجير من انتعال حذائه . ولكن ما إن وصل إلى الحقل . حتى كان وقتُ الغداءِ قد حان .

فقالَ الاجير : « ليس هذا وقتَ الحصاد . انظرْ . الجميعُ هنا يتغدونَ . لنتغدَ نحنُ ايضاً . ثم نبدأ





العملَ . »

وجلسا فتغديا ... ثم قالَ الفتى : « يجبْ أنْ نغفوَ قليلاً لنستجمعَ قوانا . » وما كاد الفتى ينتهي من قولِه حتى تمدد فوق العشب وبقي نائماً حتى المساء . فصرخ ربُّ العملِ يائساً : « هه . أيُّها الفتى انهض . تكاد الدنيا تُظْلِمُ .. والناسُ حولنا قد انتهوا من الحصاد . وبقي حقلنا كما هو . اللعنةُ على ذلك الذي أرسلَك إليَّ . لتأخُذك المنِيَّةُ . أيُّها الملعون . »

ما كاد الاجير يسمعُ ذلك حتى رفَع رأسَه قائلا :

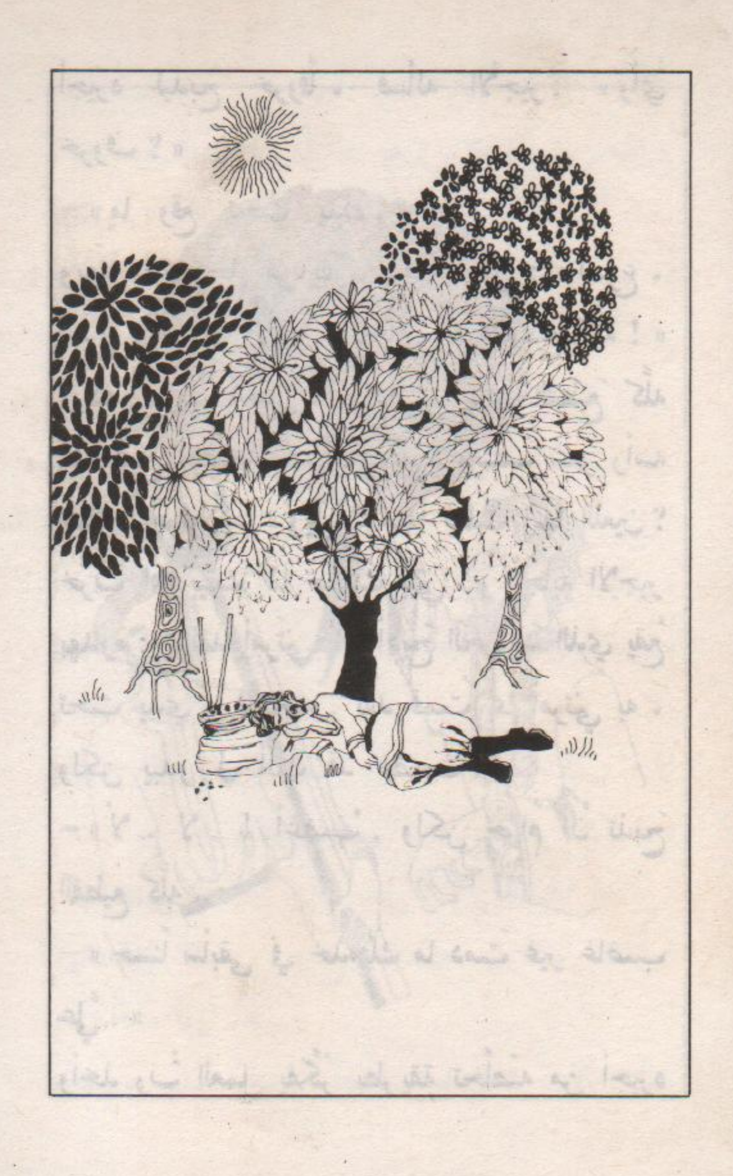
« آ .. ها .. أراكَ غضبت ! ! »

– « لا .. لم أغضبْ .. كنتُ أقولُ إنّه آن لنا أنْ نعودَ إلى البيت . لقد أظلمتِ الدنيا . »

– « آه .. هذه مسألةٌ أخرى ! لنذهبْ . وإلّا . تذكَّرْ شرطَنا .. الويلُ لِمَنْ يستبدُّ به الغضب . »

وعادا معاً إلى البيت .

وفي المساء جاء ضيوفٌ . فأرسلَ ربُّ العملِ



أجيرَه ليذبحَ خروفاً . فسأله الأجير: «وأيُّ خروف ؟»

- «ما وقع تحت يدك.»

وبعد دقائقَ جاء من يقولُ لربِّ العملِ: «أسرع . أسرعْ . أوشكَ الأجيرُ أن يأتيَ على القطيع كلِّه !» وركضَ ربُّ العمل . وإذا به يرى القطيعَ كلَّه وقد ذُبِح . فأخذ يضرب صدرَه وينتفُ شعرَ رأسه صائحاً مُولولاً : «ويلي ! ماذا فعلتَ أيُّها اللعين ؟ خرَّبَ اللهُ بيتَك كما خرَّبت بيتي.» فأجابه الاجير بهدوء : «لقد أمرتَني بأنْ أذبحَ الخروفَ الذي يقعُ تحت يدي . فذبحته . لقد قمتُ بما أمرتني به . ولكن يبدو لي أنَّك قد غضبت.»

- «لا . لا . لم أغضبْ . ولكن حرامٌ أنْ تذبحَ القطيع كلَّه.»

- «حسناً سأبقى في خدمتك ما دمتَ غير غاضب عليَّ.»

وأخذ ربُّ العمل يفكِّرُ بطريقةٍ تخلِّصُه من أجيره



هذا .

لقد سبق أن اتفقا على أنْ يعملَ الاجيرْ حتى صياح طائر « الكوكو» في الربيع . إلّا أنَّ الوقتَ كان شتاءً ، والربيعُ لا يزال بعيداً . فكَّرَ وفكَّرَ . ثم .. أخذ زوجتَه إلى الغابة ، وأصعدَها شجرةً . ثم أمَرها أن تصيحَ كما يصيح طائرُ « الكوكو » .

وعاد إلى البيت وقال لأجيره : « لنذْهبْ إلى الغابةِ للصيد ! »

وما كادا يدخلان الغابة حتى سمعا : كو .. كو .. كو .. »

فقال ربُّ العمل : « آها .. أهنئك . لقد انتهتْ مدةُ خدمتك عندي . »

فقال الاجير وقد فَطِنَ أنَّ في الأمر حيلةً : « لا مستحيل .. ليسَ من المعقول أن يصيحَ طائر « الكوكو » في فصل الشتاء . ينبغي عليَّ أن أرى هذا الطائرَ ، وأتحقق منه . » ورفع بندقيَته وأردف قائلاً : « سأقتلُه فوراً . »

فهرولَ ربُّ العمل خلفه صائحاً : « لا تطلقِ

النارَ.. اللّعنةُ على ذلك اليومِ الذي تعرّفتُ فيه اليك . يا لَلْمصيبةِ التي حلَّتْ بي . ! »

- « هل غضبتَ ؟ »

- « نعم ، نعم ، غضبتُ . وكفى . تعال نضَعْ حدًّا لهذه المُشكلةِ كلِّها . خذْ مني حقَّك وارحلْ عني . الشرطُ كان شرطي وعليَّ تقعُ العاقبة . أدركتُ الآن صحّةَ المثلِ القديم : « من حفر حُفرةً لأخيه وقعَ فيها . »

وهكذا عاد الغنيُّ إلى صوابه . أما الأخُ الأصغرُ ، فقد وفى دينَ أخيه الأكبر ، وأخذ بالاضافة إلى ذلك الفَ روبل ، ورجع الى بيته .



عن أرمينيا



تقع جنوبي جبال القفقاس في الجزء الجنوبي من الاتحاد السوفياتي، يحدها البحر الأسود غرباً، وبحر قزوين شرقاً، وتركيا وإيران جنوباً.

مساحتها: ٢٩٨٠٠ كلم².

عدد سكانها: ٢،٥٠٠،٠٠٠ نسمة.

عاصمتها: مدينة يريفان.

أراضيها تنتج حاصلات أهمها الفواكه والخضر والتبغ كما تشتهر بتربية المواشي. صناعتها متطورة وتحتوي أرضها معادن هامة كالمنغنيز والنحاس وتشتهر بمياهها المعدنية وبحجارتها المستعملة للبناء. فيها بحيرة سيفان الجبلية الشهيرة وأكاديمية للعلوم وأصبحت جمهورية سوفياتية عام ١٩٢٠.

من حكايات الشعوب

مجموعة منتقاة من قصص الشعوب ، نتعرَّف من خلالها على جانب من التراث الإنساني الفولكلوري . وعلى أجمل القصص التي ابتكرها خيال الإنسان ... هذا بالإضافة إلى معلومات عن البلد وموقعه من خريطة العالم ...

صدر من هذه السلسلة :

طباعة : مؤسسة دار الريحاني

الطبعة الرابعة ، بيروت ـ ١٩٨١


دار
الفتى
العربي
للنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة • بناية الترك • تلفون ٣٠٤١١٠ • العنوان البرقي : دافتنشر • بيروت • لبنان

٥٠٠,